المؤتمر العلمي الأول
لطلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا
الجامعة الأسمرية الإسلامية 1445هـ- 2023م

قضايا نظرية الأجناس الأدبية "قضية التصنيف ونفي الأجناس" إنموذجا

منى عبد الوهاب بن نجي*، و أبوبكر سويسي

قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا.

*البريد الإلكتروني: mny337200@gmail.com

Theoretical Issues of Literary Genres: "The Classification and Negation of Genres" as an Example

Mona Abdel Wahab bin Naji*, and Abubker Suisi

Department of Arabic Language, Faculty of Arabic Language and Islamic Studies, Alasmarya Islamic University, Zliten, Libya.

الملخص

قضية تصنيف الأجناس الأدبية ونفيها، من القضايا التي اهتمت بها نظرية الأجناس الأدبية، وكانت محل اهتمام الكثير من البحاث والنقاد منذ الفكر اليوناني إلى العصر الحديث؛ لمحاولة تلمس ومعرفة الأسس التي صُنَفت وفقها الأجناس الأدبية، والأسباب التي دعت إلى الفصل بينها؛ فكان ذلك عصياً لعدم الوصول إلى ثوابت يمكن الاحتكام إليها في التصنيف؛ بسبب التطور والتغير المستمر؛ ما جعل بعض النقاد ينادون بضرورة الوحدة الفنية بين الأجناس الأدبية، وتشكيلها في وحدة أجناسية كبرى تحت مسمى الأدب.

الكلمات الدالة: قضايا، نظرية الأجناس الأدبية، التصنيف، نفي الأنواع.

Abstract

The issue of classifying literary genres and denying them is one of the issues that concerned the theory of literary genres. It was the subject of interest to many researchers and critics from the Greek thought to the modern era. It was a trail to find out the foundations according to which literary genres were classified, and the reasons that caused them to be separated. However, this was difficult to achieve because it was not easy to reach constants that can be relied upon in classification due to development and continuous change. This led some critics to call for the technical unity among literary genres, and its formation of a more general genre under the name of literature.

Keywords: *literary issues, Literary genres theory, Classification, Negation of genres.*

المقدمة

مر الأدب العربي بتطور كبير، نشـأ عنه ظهور أجناس أدبية جديدة، وتغير بعضـها وبعضـها تطور وأخذ شكلا جديدا يحمل بعضا من ملامح السابق، فالأدب قديما حوى أجناسا أدبية تكاد تكون محدودة إذا ما قورنت بالعصـر الحديث، الذي حدث فيه الكثير من التغيير في بعض الأجناس، وظهور أجناس أدبية لم يكن للقديم فيها حظ المعرفة، مثل: القصـة، والرواية، وقصـيدة النثر. هذا التغيير كان محل اهتمام وعنايـة الكثير من النقـاد والبـاحثين، فتعـددت دراســاتهم وتنـامت جهودهم حتى كونت مـا بات يعرف بنظريـة الأجنـاس الأدبيـة، التي كانت لهـا إشــارات موغلـة في القـدم ، في الفكر اليوناني عنـد أفلاطون وأرسطو ومن جاء بعدهم من نفاد المدرسـة الكلاسـيكية، والرومانسـية، ومن أتى بعدهم من الذين تبنوا تلك الوجهات، ومن عارضــوهم واختلفوا عنهم تبعا للوجهات والعلوم التي تأثروا بها، والأيدولوجيات التي تبنوها، وقد اهتمت نظرية الأجناس، بدراســة نشــأة الأجناس الأدبية، وأســباب وجوها ، وكيفية تطورها والتداخل الذي حصـل بينها، وطرحت مجموعة من القضـايا ، مثل: قضـية تصـنيف الأجناس الأدبية، وقضـية نفي الأجناس الأدبية، اللذين هما مدار البحث في هذه الدراسـة؛ بغية معرفة الأسـس التي صـنفت وفقها الأجناس الأدبية، عند مجموعة من النقاد الغرب والعرب، والأسـباب التي دعت إلى الثورة على الأجناس الأدبية، والمناداة بنفيها متبعة في ذلك المنهج الوصفي؛ ووفقا لذلك قسمت الورقة على مطلبين:

المطلب الأول: يتناول قضية تصنيف الأجناس الأدبية.

والمطلب الثاني: يتناول قضية نفي الأجناس الأدبية.

المطلب الأول: قضية تصنيف الأنواع الأدبية

أولا: أسس تصنيف الأنواع الأدبية عند بعض النقاد الغربيين.

شـكلت هذه القضـية سـجالا كبيرا مازالت الآراء فيه متذبذبة، لم تصـل إلى ثوابت ؛ وذلك لما تتمتع به من هلامية لا يمكن الإمســاك بأحد أطرافها بأية حال، ولكن ثمة مجموعة من المعايير والأســس التي يعتمدها بعض الباحثين في عملية التصـنيف، فمنهم من يعتمد معيار الشـكل (السـرد والمسـرح) ، ومنهم من يعتمد معيار المضمون (الرواية التاريخية، الرواية السياسية، الرواية الاجتماعية، الرواية النفسية) ،ومنهم من يعتمد معيار الأسـلوب (الرواية المولوجية ذات الصـوت الواحد، الرواية البوليفونية متعددة الأصـوات)، وهنالك معايير أخرى تسـتعمل لتصـنيف الأجناس الأدبية الثانوية كمعيار الإيقاع الداخلي والخارجي مثل: الموشـحات، وقصـيدة التفعيلة، وقصـيدة النثر يقول رنيه ويلك: (ونحن نرى أنه يجب

تصـــور الأنواع على أنها زمر من الأعمال الأدبية تقوم نظريا على كل من شـــكلها الخارجي "وزن معين أو بنية"، وشكلها الداخلي أيضا "الاتجاه، الجرس، الهدف"، وشكل أكثر فجاجة الموضوع أو الجمهور)[1]. إلى جانب ذلك هناك التقســيم الثلاثي الذي وضــعه أرســطو "ملحمة، كوميديا، وتراجيديا" يقول جيرار جنيت في كتابه جامع النص مستعرضا رأي أوستن وارين: (إن مصدرينا الكلاسيكيين لنظرية الأجناس الأدبية هما: أرســطو وهوراس، ويعود لهما فضــل إيصــال الفكرة القائلة بأن المأســاة والملحمة يمثلان الصــنفين المميزين بل والأكثر أهمية، إلاَّ أن أرســطو قد انتبه أيضــا إلى أنه يوجد فروق هامة بين المسرحية، والملحمة، والشعر الغنائي، وقد ميز كل من أفلاطون وأرسطو بين الأجناس الأدبية الأساسية الثلاثة، وذلك حسب طريقتهما القائمة على مبدأ المحاكاة، ما يسمى بالمماثلة، وهذه الأجناس هي:

- الشعر الغنائي وهو شخصية الشاعر نفسها.
- الشعر الملحمي أو الروائي يتحدث الشاعر فيه باسمه الخاص بوصفه الراوي، ولكنه في الوقت نفســه يجعل شــخصــياته تتحدث بأســلوب مباشــر، وهذ الأســلوب يؤدي إلى وجود الرواية المزدوجة.
- المسرح حيث يختفي الشاعر وراء توزيع مسرحيته.[2]

هو ينظر إلى أن الملحمة والمسرح والشعر الغنائي هو المنطلق في التصنيف، فكيف يتسنى ذلك وقد نوه نفسه أن هذه الأجناس تختلف تبعا لطرقتها القائمة على المحاكاة.

كما يرى محمد غنيمي هلال أن التصنيف الذي وضعه أرسطو هو تصنيف اجتماعي، وتقسيم الناس إلى نبلاء وسوقة في الزمن القديم، وهو ما دفع أرسطو إلى الحديث عن المأساة والملحمة، وجعل لكل جنس لغته وأسلوبه وجمهوره، فالأدب عنده لا يقتصر على المتعة، إنما جعل له رسالة أخلاقية.[3] أما هيجل فرأى أن معيار التصنيف في الأنواع الأدبية بالاعتماد على ثنائية الذاتي والموضوعي، فيجعل الذاتي أو العاطفي مضــمونا في الشــعر الغنائي، وفيه يتم ســكب الذات والتعبير عنها، ويجعل الملحمي مرتبطا بالموضوعية بحيث يكون المحكي واقعا منفصلا، أما الدرامي فيجمع عنده بين النوعين السابقين فهو يشتمل على قسم غنائي تفصح فيه الشخصية عن نفسها أو ما هو خاص بها، مما يجعل الدرامي ذاتيا بأصوله الداخلية غير أنه موضوعي بتحققه الخارجي.

---

[1] ينظر: حمداوي، جميل. نظرية الأجناس الأدبية نحو تصور جديد للتجنيس الأدبي، ط1، 2011م، ص54.

[2] ينظر: جنيت، جيرار. ت: أيوب، عبد الرحمن. مدخل لجامع النص، د. بوتقال، د. ط.، ص17.

[3] ينظر: عزوق، فطيمة؛ كريم، ســومية. تداخل الأجناس الأدبية في رواية وليمة لأعشــاب البحر، لحيدر حيدر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها، ص8.

ومنهم من جعل مقياس التصنيف لبعض الأجناس الأدبية هو البعد الزمني، والصيغ اللغوية فيما بينها وهو "أي اس دالاس" قسم الشعر على ثلاثة أنواع رئيسة وهي السردية، والحكاية، والأغنية، ثم بدأ في وضع سلسلة من التخطيطات يترجم فيها هذه الأجناس على النحو التالي: المسرحية ضمير المخاطب الزمن المضارع، الملحمة ضمير الغائب الزمن الماضي، الشعر الغنائي ضمير المتكلم الزمن المستقبل.
كذلك نجد رومان ياكبسون ينحى نحوا مشابها لما يقدم، حيث جعل الضمائر التي تميز بين الوظائف الأدبية هي معيار التصنيف، فالشعر الغنائي يستعمل ضمير المتكلم المفرد والزمن المضارع، في حين أن الملحمة تستعمل الشخص الثالث والزمن الماضي.

كما وضع جيرار جنيت ثلاثة عناصر من خلالها يتم التحديد وهي "الموضوع، والصيغة، والشكل" إذا كان العمل الأدبي انفعالا وعاطفة تخص ذات الشاعر فالقصيدة غنائية، وإذا كان خارج ذات الشاعر فهو إما ملحمي أو قصصي، ومن حيث الصيغة فالنوع إما يكون سردا أو حوارا، ومن حيث الشكل إما حكائي أو لا حكائي، وعلى ضوء ذلك يتحدد كل جنس بهذه الكيفية، الغنائي يعتمد السرد صيغة، والذات موضوعا، واللا حكاية شكلا، والدرامي يعتمد الحوار صيغة، والواقع الخارجي موضوعا، والحكاية شكلا، والملحمة والقصصي يعتمد السرد والحوار معا، والواقع الخارجي موضوعا، والحكاية شكلا .[1]

فنجد أن التصنيف الذي ارتآه هؤلاء مختلف تبعا لتصور كل منهم، ولكن وجود تشابه في بعض المناحي، مما يدل على غياب الحد القاطع في عملية التصنيف، فالتصنيف الذي انتهى إليه أحدهم انطلق منه الآخر.

ثانيا: أسس التصنيف عند بعض النقاد العرب.

تعرض لقضية التصنيف الكثير من النقاد، وألفوا في ذلك مؤلفات عدة، فمن اللذين تصدوا لدراسة ذلك الناقد عبد الفتاح كليطو في كتابه الأدب والغرابة الذي عقد فيه فصلا بعنوان تصنيف الأنواع الأدبية، نحى فيه منحا بنيويا، فقد انطلق في ذلك من ملاحظة أولية تتمثل في الاستعداد الفكري الذي يرافق المستقبل إزاء كل عمل فني، واستنتج من ذلك أن كل نوع أدبي يفتح أفق انتظار خاصة به، ويتكون أفق الانتظار هذا من عناصر تجمع بين الآثار المنتمية إلى نفس الفن، إليها المستقبل، وبذلك فإن النوع الأدبي يتحدد بكونه اشتراك مجموعة من النصوص في إبراز نفس العناصر، وتنقسم هذه العناصر إلى أساسية وثانوية، ووفقا لذلك فإن خروج النص عن العناصر الثانوية لا يقدح في انتمائه

[1] ينظر: الطائي، حسين دخيل، تداخل الأجناس الأدبية النشأة والتطور، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ص46-47.

للنوع إما إخلاله بالعناصر الأساسية المهيمنة فإن هذا كفيل بإخراجه من مجال ذلك النوع، وإدراجه ضمن نوع آخر ، أو يجعله مؤسسا لنوع جديد، ويقترح تصنيفا يعتمد على تحليل لعلاقة المتكلم بالخطاب، ويعني خاصة بمسألة إسناد الخطاب وبما يترتب على الإسناد من أنماط خطابته، وتتفرع الأنظمة الخطابية إلى ثلاثة:

- المتكلم يتحدث باسمه كما في الرسائل، والخطب وعديد الأنواع الشعرية التقليدية.
- المتكلم يروي لغيره، كما في كتب الأخبار.
- المتكلم ينسب غلى غيره خطاب يكون هو منشئه، ويلحق هذا الخطاب بالنمط الأول أو الثاني، حسب التفطن إلى النسبة أو الغفلة عنها [1].

كما نجد الأستاذ عبد الهادي الطرابلسي من الذين نكبوا على دراسة الجناس الأدبية من خلال ما قدمه من بحوث، وخلاصة ما قام به من في جانب التصنيف فإنه توقف عند محاولة ياكبسون ليبرهن على مدى نجاح التحليل الأسلوبي وأولويته في التفريق بين الأجناس الأدبية، وارتأى أن يراعى في ذلك الأسلوب الغالب أو مجموعة الأساليب الغالبة، ويورد لذلك بعض النماذج، هي الخطبة، والحكاية، والمقامة، المسرح[2].

ما رأي عبد السلام المسدي في هذه القضية فهو يرى موضوع البحث في الأجناس معضلة ذات بعد موضوعي بالدرجة الأولى، فهو يرى أن الآداب الإنسانية تختلف من حيث نمط الأجناس السائدة، ورأى أن ما قام به بعض المستشرقين ومن تابعهم من العرب هو نوع من الضيم والممارسة التعسفية، عندما قاموا بفحص مميزات تاريخ العرب وحضارتهم من خلال مقولات الحضارة التي ينتمون إليها، وجعل مقولة الأجناس دخيلة على قيم الحضارة العربية في مكوناتها الإبداعية، فالعرب في تصورهم للأدب لم ينبن على مقولة الأجناس أصلا، وإنما قام على تصنيف ثنائي مرتبط بنوعية الصوغ الفني، غير متصل بطبيعة الجنس الإبداعي فكان بذلك تصنيفا نوعيا أكثر مما كان تصنيفا نمطيا، وحجته في ذلك أن العرب أقاموا أدبهم على منظوم ومنثور، ثم يقترح ثلاثة معايير لتحديد مقولات الجنس الأدبي وهي:

- معيار الصياغة من حيث كونها تشكيلا للمادة الخام المتمثلة في اللغة.
- معيار المضمون وهو الذي يقتصر على الدلالة المقصودة دون الاهتمام بالصياغة الفنية.
- معيار التركيب ويتعلق بالسبل الإبداعية التي يتوسل بها الأديب لبلوغ الغاية المقصودة دلاليا وفنيا.

[1] ينظر: شبيل، عبد العزيز. نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري جدلية الحضور والغياب، ط1، ص78 -80.
[2] ينظر: نفسه، ص67-73.

ويقترح المزج بين هذه المكونات ضمن معيار كلي يقع الاحتكام إليه في استخلاص النسيج الذاتي المكون لأجناس الأدب العربي دون الشعر، ومن شأن ذلك يمكن أن تعدد ألوانا تكون نواة لسلم تصنيفي متكامل، وصولا إلى ضبط مقومات حد كل جنس من أجناس هذا السلم، مثال ذلك: فن الخطابة، وفن الخبر وضمنه نجد "أيام العرب، أدب السيرة، أقاصيص الأقوام...".

فما قام به الأستاذ عبد السلام المسدي من طرح يشوبه الغموض والتشويش من خلال ما عرضه من معايير يحتكم إليها في تحديد الجنس الأدبي، فهي معايير متغيرة تختلف من شخص إلى شخص، ومن زمن إلى زمن .[1]

فمن خلال هذا الطرح نلحظ أن قضية الأجناس الأدبية يعتريها الكثير من الغموض والتشويش، الذي يدل على عسر المسألة وتعقد القضية، فيصعب وضع مقاييس يمكن الاحتكام إليها في عملية التصنيف، وأن ما تم القيام به في ذلك هي جهود تحترم وإن يكتنفها بعض القصور والغموض.

المطلب الثاني: قضية نفي الأنواع الأدبية.

حوت هذه القضية سجالا كبيرا حول مبدأ التجنيس، فمنهم من دعا إلى احترام قواعد الأجناس الأدبية بالفصل بين هذه الأجناس في ضوء معايير تجنيسية معينة، وهو ما يستند عليه أصحاب النظرية الكلاسيكية، بينما أصحاب النظرية الرومانسية نادوا بضرورة إصهار الأجناس في بوتقة أدبية واحدة، كما دعوا إلى الوحدة الفنية بين الأجناس الأدبية وتشكيلها لوحدة أجناسية كبرى، وهي التي ساهمت في ظهور مفهوم مصطلح الأدب الذي كان يجمع في طياته أجناسا وأنواعا وأنماطا أدبية مختلفة داخل وحدة فنية وجمالية كبرى، وفي هذا السياق يقول تودوروف: "وأخيرا بدأت فكرة وحدة الفنون تفرض نفسها، ومن هنا أخذت تتبلور نظرية الفنون تحاول أن تؤطر على الأقل أكثر الممارسات الفنية هيبة أعني الشعر والرسم، وتحولت هذه النظرية في القرن الثامن عشر إلى دراسة خاصة هي علم الجمال حيث سهيأ مكان لنظرية الأدب في الحدود التي تسمح بها نظرية عامة للفنون".

فقبل الثورة الرومانسية كان الكلام يدور حول الأنواع التي كانت قارة وثابتة ومنفصلة بعضها عن بعض، أما مع الرومانسية فنلحظ هناك نزعة نحو التركيب ومزج الأنواع؛ لذلك نجدهم يولون اهتماما

[1] ينظر: شبيل، عبد العزيز. نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري جدلية الحضور والغياب، ص 74-76.

كبيرا لشكسبير الذي لم يكن يلتزم صوتا واحدا في مسرحياته، وإنما يمزج أصناف الكلام فيمزج مثلا الكلام الجزل بالكلام السوقي[1].

فهذه الأنواع التي كانت ثابتة تستند على رؤى تقول بنقاء هذه الأنواع، وهي دعوة ترقى أصولها إلى أرسطو الذي وضع الأسس الأولى لنظرية الأجناس الخاصة بالشعر التمثيلي عند الإغريق عندما ميز المأساة من الملحمة والملهاة، وضبط لكل جنس من أجناس هذا الشعر الخصائص والأشكال، ثم من جاء بعده من المصنفين تلقفوها ووضعوها معايير معتمدة في تجنيس الخطابات الأدبية، كما أنهم آمنوا وتشبتوا بمبدأ "نقاء النوع" الذي أرساه أرسطو في فصله الحاد بين المأساة والملهاة، فهم لم يؤمن بأن كل نوع يختلف عن الآخر فحسب، بل آمنوا بضرورة أن تبقى منفصلة ولا يسمح لها بالامتزاج، وهذا هو عماد أصحاب النظرية الكلاسيكية، وما ثار عليه أصحاب النظرية الرومانسية ونادوا بتحطيمه، وقد ظهرت بعد حركة الرومانسيين دعوات بينت فهمهم لقضية الأنواع، فنادوا بضحدها و هدمها، فنجد كروتشة، وموريس بلانشو، ورولان بارت من اللذين علا نجمهم في سماء معادات الأنواع.

أولا: كروتشة ومبدأ الحدس واستقلالية الأثر.

ينطلق كروتشة في دعوته إلى إلغاء النوع من مبدأ الحدس واستقلالية الأثر، فهو يرى أن نظرية الأجناس الأدبية نظرية من شأنها أن تشوش نقاد الفن ومؤرخيه؛ لأنها تؤدي إلى أساليب مغلوطة في الحكم والنقد، ولأنها تكرس جل الاهتمام على مدى مطابقة ذلك العمل الأدبي للقواعد التي تحكم ذلك النوع الأدبي، فحين يكون العمل الأدبي ملحمة أو مأساة فالذي يستأثر اهتمامهم هو مدى التزامهما بالقواعد التي وضعت للشعر الملحمي أو المأساة، بينما الأولى أن يسألوا أهو معبر حقا، وعم يعبر؟ فمن ذلك قد أعلن كروتشة عن موت الأجناس وميلاد ما يسمى بالأثر الكلي الذي يحتوي الأجناس جميعها ويختزلها؛ لكي يتجاوزها ويتعالى عنها[2]، ففي كتابه المجمل في فلسفة الفن يقول: "إن تقولا هذه ملحمة أو دراما أو قصيدة غنائية فتلك تقسيمات مدرسية لشيء لا يمكن تقسيمه، إذ الفن هو الغنائية أبدا، وقولا إن شئتم هو ملحمة العاطفة ودرامتها"، ففي حديثه هذا يعتبر الحدث والعاطفة هما ما يشكلان مضمون الأثر الفني ، وبواسطتها يتم التعبير الكلي[3].

فكروتشة يرى الأدب عفويا يصدر عن المبدع أو الأديب دون أن يفكر مبدعه في قيود الأجناس، وذلك لأن المبدع يخرج الأشياء بشكل تلقائي ولا يوجد أي قوانين تلزمه وتضبطه بشكل معين يتقيد به،

[1] ينظر: نظرية الأجناس نحو تصور جديد للتجنيس الأدبي، ص 47-48.

[2] ينظر: الطائي، حسين دخيل. تداخل الأنواع الأدبية النشأة والتطور، ص55.

[3] يحياوي، رشيد. مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، د. أفريقيا الشرق، ط2، 1994، ص26.

ما يدل على أن المبدع غير مرتبط بالقوانين والأجناسية، فالمبدع يأتي كل مرة بأشياء جديدة فيما يبدعه وهذا شيء لا مفر منه وإنكار له[1]، فهو يرى أنه وإن كان وجودا للأنواع الأدبية فستكون تصنيفا للحالات النفسية لا التقنيات الكتابية، فالفن مصدره واحد هو احدس يقول: "إن الفن حدس محض أو تعبير محض، ليس حدسا عقليا كما زعم شلينج، ولا هو حدس منطقي كما يرى هيجل، ولا هو حكم كما يذهب إلى ذلك التفكير التاريخي، إنه حدس مجرد إطلاقا من المفهوم ومن الحكم[2]. كما أن الآثار في تصوره هي ناتج وعي فردي، فهي لا تجسد سوى حالة مبدعها التي هي حالة نفسية خاصة ومنفردة تصدر مباشرة عن الحدس بشكل عفوي وتلقائي من دون تفكير مسبق في القواعد والأصول، وهو ما يترتب عنه استقلال الأثر بنفسه وتحرره من كل قانون أو قاعدة، فالمبدع لا يعبر إلا عن حالات فردية أما الأشكال التي يتخذها هذا التعبير فمن صنع النقاد. ووفقا لذلك يصبح لكل أثر فني بالحدس نوعا أدبيا[3].

فهذا ملخص نظرة كروتشة في مسألة تحطيم الأجناس، وقد كانت نظرته مقنعة إلى حد ما، في ربط مسألة الأثر الفردي بالنوع الأدبي، فالأثر الذي يحدثه النوع الأدبي يختلف من شخص إلى آخر، وبين الشخص ذاته في أوقات مختلفة؛ لذلك فالتقسيم الأجناسي ما هو إلا قيود فرضت على الإبداع.
وبالرغم من دعوته الحادة لتحطيم الأجناس لا ينكر فائدة تقسيم الأدب إلى أجناس، وتتمثل الفائدة في تفسير الدراسة الأدبية ويؤيد ذلك بقوله: "مما لاشك فيه أننا ننسج شبكة من التصنيفات لا من أجل الإنتاج الفني، فالإنتاج عفوي وتلقائي, ولأجل الحكم على آثار الفن فهذا الحكم فلسفي؛ إنما من قبيل الحصر للحدوس الخاصة التي لا حصر لها، ومن قبيل الإحصاء للأثار الفنية الخاصة التي لا نحصى ذلك كوسيلة عملية تفيد الانتباه والذاكرة، أن هذه الأنواع والأصناف تسهل معرفة الفن وتيسر التربية الفنية[4].

ثانيا: موريس بلانشو تلاشي الأدب وتفرد الأثر.

فبلانشو من الذين ثاروا على نظرية الأجناس الأدبية، قائلا: لم يعد هناك كتاب ينتمي إلى جنس، كل كتاب يرجع إلى الأدب الواحد -ومن ثم فهو بعيد عن الأجناس وخارج خانات النثر والشعر والرواية

[1] ينظر: أبو مصطفى، أحمد. تداخل الأجناس الأدبية في القصيدة العراقية، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية، غزة، 1936هـ، 2015م، ص23.
[2] ينظر: يحياوي، رشيد. مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، ص26.
[3] الغرافي، مصطفى. مقال بعنوان، مسألة النوع الأدبي، .www.alawan.org/2016/10/4
[4] ينظر: أبو مصطفى، أحمد. تداخل الأجناس الأدبية في القصيدة العراقية، ص23.

والشـــهادة- يأبى أن ينتظم تحت كل هذا، أو يثبت له مكانة، ويحدد شـــكله[1]، فبلانشـــو دعا إلى تحرير الأدب من كل قانون بما في ذلك قانون التجنيس مؤكدا أن الأدب يكمن جوهره في تجنبه لكل تحديد جوهري، وكان رفضـه للتجنيس مبنيا على رفضـه للأدب فهو يتبنى القول المنسـوب للفيلسـوف هيجل الذي يقول: "الفن بالنسبة لي شيء من الماضي"[2]، فالأدب عنده لا يتحقق إلا إذا انتفى وتبعثر، فوجود الأدب عنده في عدمه، حيث لا يمكن معرفته ولا التعرف عليه، فالكتابة عنده تتحدد بوصفها تمردا لا يخضـع لأي سـلطة أو قانون بما فيها سـلطة النقد وقانون النوع يقول: "حالما ندرك أن الكتابة الأدبية الأنواع العلامات، استعمال الماضي والضمير الغائب، ليست فقط شكلا شفافا، ولكن عالما مستقبلا تسـود فيه المعبودات وتهجع الأحكام المسـبقة، ونعبش غبر مرئية القوى التي تحرق كل شـيء يكون من الضـروري على كل منا ا يحاول الانفلات من هذا العالم فهو إغراء لنا جميعا بتخريبه[3]، ففي كلامه هجوم حاد وصريح لنفي فكرة التجنيس وكذلك الأدب، فلا قناعة عنده إلا بوجود الأثر الذي هو مصدر الإلهام عنده.

ولكن بالرغم من دعواه الحادة إلى إلغاء فكرة التجنيس، نجد في ثنايا حديثه ما ينافي ذلك في سياق حديثه عن "بروخ"، فيقول: إنه يركن إلى أنماط القول كافة ـالسردية والغنائية والمقاليةـ وأهم من ذلك أن كتابه بكامله يركز على التمييز بين اثنين قد لا يكونان من الأجناس، بل من الأنماط الأسـاسـية هما القصـة والرواية، فتتميز الأولى بالبحث العنيد عن مكان أصـلها الخاص الذي تمحوه الأخرى وتخفيه، إذن لبست الأجناس التي توارت، بل هي أجناس الماضي، فاستبدلت بأخرى، فلم يعد الكلام يدور على الشعر والنثر وعلى البنية والتخييل بل على الرواية والقصة، على السردي والمقالي، على الحوار وعلى الصحيفة"[4].

ففي كلامه هذا نلتمس التذبذب الواضح في دعوته، هذا التذبذب الحاصل عنده وعند غيره من دعاة الثورة على الأنواع يقودنا إلى أن مسـألة التخلي والقول بعدم وجود أنواع، أو محاولة لإلغاء هذه الفكرة أمر لا جدوى فيه، فالكثير ممن دعوا إلى ذلك أدلوا بالعديد من الآراء المعللة التي تقود بعض القراء إلى الاقتناع بما يسوقونه، ولكن تظل هذه التعليلات وجهات نظر شخصية غير قائمة على مبدأ أساسي يمكن الاحتكام إليه، والدليل تراجعهم عن الآراء التي قدموها.

[1] ينظر: حمداوي، جميل. نظرية الأجناس الأدبية نحو تصور جديد للتجنيس الأدبي، ص13.

2 خليل، إبراهيم. الأدب ونظرية الأنواع التوطئة والمفاهيم، مجلة عمان، ص21.

3 ينظر: الغرافي، مصطفى. مقال بعنوان مسألة النوع الأدبي .www.alawan.org/2016/10/14

4 الغرافي، مصطفى. مقال بعنوان مسألة النوع الأدبي..www.alawan.org/2016/10/14

ثالثا: رولان بارت مبدأ الكتابة واستقلالية النص.

فقد دعا إلى أن يتجاوز النص كل ما حوله من أطر وتحديدات، ومرد ذلك عنده إلى أن النص دال ليس للمدلول فيه أية وظيفة، وإنما هو ذو وظيفة رمزية خالصة لا مركز لها، ولا تعرف الانغلاق وهو أيضا قوة قابلة للنظام تتجاوز جميع الأنواع والتصنيفات المتواضع عليها، لتغدو واقعا نقيضا يقاوم حدود العقلانية والوضوح وذهب أيضا إلى أن النص يجب أن لا يدخل ضمن تراتب ولا حتى ضمن مجرد تقسيم للأجناس، ما يحدده على العكس من ذلك وهو قدرته على خلخلة التصنيفات القديمة؛ لأنه يرى أن الكتابة خلخلة فهي تهشم كل بناء تصنيفي لا ينتج سوى النصوص، والنص لا يصنف وحضوره يلغي الأنواع الأدبية، فمادام النص يتحكم فيه مبدأ التناص واستنساخ الأقوال وإعادة الأفكار وتعدد المراجع الإحالية التي تعلن موت المؤلف، فلا داعي للحديث عن الجنس الأدبي ونقائه وصفائه مادام النص من جهة أخرى جماع نصوص متداخلة، وملتقى خطابات متنوعة ومختلفة من حيث التجنيس والتصنيف، فالكتابة الأدبية في رأيه خلخلة لمعيار التجنيس، فيرى تعويض الجنس الأدبي أو الأثر الأدبي بالكتابة أو النص[1].

ومن الذين أعلنوا برأيهم ضد الأجناس "ياوس" لأنه يرى فيها شكلا من أشكال التقليد، ومن ذلك -أيضا- رنيه ويلك الذي جاء رأيه معززا لهؤلاء يقول: "فالحدود بينهما تعبر باستمرار والأنواع تخلط وتمزج، والقديم منها يترك ويحور وتخلق أنواعا جديدة أخرى إلى حد صار معها المفهوم نفسه موضع شك[2].

فكل هؤلاء الذين دعوا إلى تحطيم الجنس الأدبي ومحو وجوده والقول بالنص والكتابة، مستندين في ذلك إلى أن الكتابة الأدبية التي تقوم على تحطيم القوانين، والإتيان بالشيء الجديد وغير المألوف، الذي يأبى أن يتقوقع في شكل قواعد أو قوالب أدبية يحكمها نظام، فالنص نسيج فيه أكثر من نوع أدبي فتتعالق النصوص، وتداخل في هيئة تجعل منه لا يبوب ضمن التصنيفات القديمة[3].

الخاتمة

من خلال التتبع لقضيتي تصنيف الأنواع الأدبية ونفيها، خُلِص إلى التالي:

[1] ينظر: حمداوي، جميل. نظرية الأجناس الأدبية نحو تصور جديد، ص13.

[2] الطائي، حسن دخيل. تداخل الأنواع الأدبية النشأة والتطور، ص55.

3 ينظر: نفسه، ص57.

- إن قضية الأنواع الأدبية من القضايا الشائكة؛ وذلك لعدم الوصول إلى ثوابت يمكن الاحتكام إليها في التصـنيف؛ بسـبب التغير والتطور المسـتمر، وما تم القيام هي جهود محمودة، ولكن يكتنفها بعض الغموض والتداخل.
- جاءت معايير التصـنيف مختلفة كل حسـب رؤيته، منهم من اعتمد معيار الشـكل، ومنهم من اعتمد الأسلوب، ومنهم من اعتمد معيار الإيقاع، ومنهم من اعتمد ثنائية الذاتي والموضوعي...
- أصحاب المدرسـة الكلاسـيكية نادوا بضـرورة الفصـل بين الأجناس الأدبية. انطلاقا من مبدأ نقاء النوع، بالنظر إلى الأدب على أنه مادة يجب أن تُقَولب، وتسـتقل اسـتقلالا تاما، وتوسـم بسمات مختلفة، بينما أصحاب المدرسة الرومانسية ومن جاء بعدهم، نادوا بضرورة الوحدة الفنية بين الأجناس الأدبية، وتشـكيلها لوحدة أجناسـية كبرى، بالنظر إلى أنه إبداع مصـدره الإلهام الذي لا يمكن تحديده.
- من نادوا بالنفي جاءت وجهاتهم ذاتية. تفتفر إلى التعليل المقنع، باسـتثناء وجهة كروتشـة فهي أقرب منها إلى الموضـوعية، من حيث كون الإبداع مرتبط بالأثر الذي يختلف من شـخص إلى آخر، وبين حالات الشخص ذاته.
- لازالت سـلطة النوع تفرض نفسـها، بدليل ظهور مسـميات لكثير من الأنواع، وتعليل هذه التسمية تبعا للمعايير التي تنطبق عليها.
- هذا التصـنيف بما فيه من إيجابية في بعض المناحي، قد يشـكل معضـلة للدارسـين؛ لأن هذه الأجناس موزعة عبر حقب تاريخية مختلفة، وما يحمله هذا الاختلاف من خصـائص تاريخية واجتماعية.

المراجع

أبو مصـطفى، أحمد (1930هـ/2015م). *تداخل الأجناس الأدبية في القصـيدة العراقية*. مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في اللغة العربية، من كلية الآداب بالجامعة الإسلامية غزة، فلسطين.

جنيت، جيرار (1985). *مدخل لجامع النص*. ت: أيوب، عبد الرحمن. دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، العراق.

حمداوي، جميل (2015). *نظرية الأجناس الأدبية نحو تصـور جديد للتجنيس الأدبي*. إفريقيا الشـرق، الدار البيضاء، المغرب.

خليل، إبراهيم (2009). الأدب ونظرية الأنواع، التوطئة والمفاهيم، *مجلة عمان*، 168، 17-28.

شـبيل، عبد العزبز (2001) *نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضـور والغياب*. دار محمد علي الحامي.

الطائي، حسين (2013). تداخل الأجناس الأدبية، النشأة والتطور، *مجلة العلوم الإنسانية، لكلية التربية للعلوم الإنسانية*، 1(16)، 42-59.

العرافي، مصطفى، مقال بعنوان: *مسألة النوع الأدبي*. على الرابط: [wwwkalawan or9/10/1].

عزوق، فطيمة؛ كريم، سـومة (2015). *تداخل الأجناس الأدبية في رواية وليمة لأعشـاب البحر*، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البويرة، الجزائر.

يحياوي، رشيد (1991). *مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية*. إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.